أثر الإحالة في تماسك النّص القرآني
ـ سورة الحديد مثالاً ـ

د. عرفات فيصل المنّاع، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العراق.

د. مراد حميد عبد الله، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العراق.

ملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى إثبات دور الإحالة وهي إحدى وسائل التماسك النصي الرئيسة في خلق السمة النصية من خلال ما تسهم به أنواع الإحالة المختلفة: (الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة) في ربط أجزاء الكلام بعضه ببعض.

وقد أوضحنا من خلال تطبيق هذه الفكرة على سورة الحديد الدور الرئيس الذي تؤديه الإحالة –سواء أكانت داخلية أم خارجية– على المستويين الشكلي والدلالي، فضلا عن دورها في خلق نوع من الاقتصاد اللغوي داخل النص.

Abstract

This study aims at proving the role of reference which is part of the main texture cohesion means for creating the features texture- through which the different parts of the reference can take part in (the personal reference, demonstrative references and the comparative reference) for linking the parts of speech with each others.

We have explained- through applying this idea on Al- Hadeed Sura- the main role which the reference might lead to- whether it is internal or external- on both formal or meaningful; furthermore, it can create apart of economic language inside the text.

أولًا : الجانب التنظيري :

1. مفهوم الإحالة :

الإحالة في اصطلاح علماء اللغة المحدثين تعني أن يرتبط عنصر ما في النَّصِّ بعنصر آخر سواء أكان داخل النَّصِّ أم خارجه بشرط أن تربطهما علاقة من نوع ما، فهي بحسب تعبير دي بوجراند: ((العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الَّذِي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص)) [1] ، والإحالة من عناصر التماسك النَّصي الرئيسة التي ذكرها كلٌّ من مايكل هاليدي M. Halliday، ورقية حسن [2] R. Hasan وهي: الإحالة Reference، والاستبدال Substitution، والحذف Ellipsis، والربط Conjunction، والتماسك المعجمي Lexical Cohesion .

2. أنواع الإحالة :

الإحالة على نوعين رئيسين، هما:

ـ**إحالة داخليَّة** (نصّيَّة)، وهي الإحالة إلى عنصر داخل النص، وهي إمَّا أنَّ تكون سابقة كقول الشاعر[3] :

نُحبُّ الحبَّ... يحلو في ثناياكِ
انتظرنـــــــــاه ولم يأتِ
وقد شَبَّت شغاف القلـــبِ
بالنَّارِ وبالزَّيـــــــــتِ

فضمير (الهاء) في الجملة الخبرية الثانية تعود على لفظ (الحبّ) في الجملة المتقدمة عليها وتأخذ دلالتها منها، ومثله قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** ﴾[4]، إذ يحيل الضمير المنفصل إلى متقدم وهو (هدى الله)، وإمَّا أن يكون العنصر المحال إليه لاحقًا، فتكون الإحالة لاحقة، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[5]، فضمير الشأن (هو) إشارة فيما بعد إلى لفظ الجلالة الذي هو (أَحَدٌ) لا شريك له[6]، وهذا الضمير له عظيم الشأن في توجيه الكلام لتعطيه دلالات من شأنها تعظيم الموقف وتفخيمه ((اعلم أنهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميرًا يكون كناية عن تلك الجملة, وتكون الجملة خبرًا عن ذلك الضمير وتفسيرًا له... ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفخيم والتعظيم)) [7], فضمير الشأن يقوم بوظيفة تعظيم وتفخيم أمر المتحدث عنه وهذا الأسلوب أكثر ما يستعمل في الخطب والمواعظ لما فيها من الوعد والوعيد وتفخيم الشأن وتعظيمه.

ـ **إحالة خارجيَّة** (مقاميَّة)، وهي الإحالة التي تعود إلى أحداث أو مواقف خارج النص[8]، كقولنا: ثمنه ألفًا ونحن نشير إليه بيدنا، فضمير (الهاء) هنا قد اكتسب دلالته ليس من عنصر داخل النص، وإنما ممَّا نشير إليه خارج النص.

وقد وضَّح مايكل هاليدي ورقية حسن أنواع الإحالة هذه من خلال المخطط الآتي [9] :

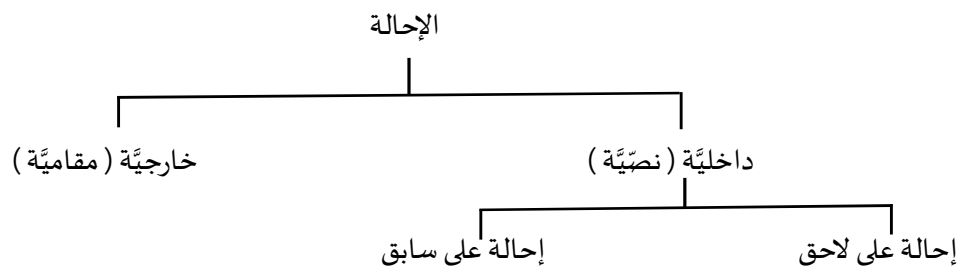

3. وسائل التماسك الإحالية :

ذكر علماء اللغة المحدثون ثلاث وسائل إحالية لتماسك النص، وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة[10].

أ.الضمائر:

وهي أكثر أنواع الإحالة شيوعًا [11]، إذ تؤدي دورًا رئيسًا في ربط أجزاء النَّصِّ بعضها ببعض ولولا وجودها في بنية النَّصِّ؛ لأدى ذلك إلى ارتباك المَعْنَى أو غموضه، فقولنا: (قطف زيد تفاحة. أكل زيد تفاحة) بنية سطحية بحسب تَعْبِير التحويليين التوليديين تحمل أكثر من دلالة على مستوى البنية العميقة؛ لأن فيها فعلان يدلان على حدثين مختلفين هما القطف والأكل، وفيها فاعل واحد هو زيد أو فاعلان باسم واحد هو زيد، مثلما تحتمل أن تكون تفاحة واحدة وقع عليها القطف والأكل، أو تكون تفاحتين مختلفتين، ولكن وجود الضمير يعطي للجملة معنى تنظيميًا (Organizational Meaning)، فنقول :

. قطف زيد تفاحة، ومن ثم أكلهـــا .

. قطف زيد تفاحة، وأكل أخرى [12].

. قطف زيد تفاحة، وأكلهـــا غيره .

. قطف زيد تفاحة، وأكل زيد آخر تفاحة أخرى.

إن المَعْنَى الإحالي (Referential Meaning) المتمثل بالضمائر في هذه الجمل قد عمل على تنظيم الدلالة وتحديدها أو توجيهها عبر جانبين رئيسين, هما:

- الجانب الموضوعي.
- الجانب الشكلي.

إذ يؤدي وجود الضمير – من حيث الموضوع- إلى عدم تفكك أجزاء النص الواحد, فوجوده في سياق الكلام إشارة واضحة إلى أن المتحدث عنه في بداية الكلام – على سبيل المثال- هو نفسه في وسطه أو آخره, وهو في الوقت نفسه جانب شكلي يهتدي القارئ من خلاله إلى رؤية ذلك الترابط، فالضمير وما يحيل إليه يعملان على تماسك النص, فالضمير وحده من دون ما يحيل إليه لا يملك تلك الدلالة المستقلة ولا بدَّ له من وجود عنصر آخر يحيل إليه أو مجموعة عناصر مذكورة بين أجزاء الخطاب [13]؛ لأنَّ الإحالة ((علاقة دلالية ومن ثمَّ لا تخضع لقيود نحوية إلا أنها تخضع لقيد دلالي, وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه)) [14] .

ب . أسماء الإشارة :

وهي من وسائل تماسك النَّصِّ الرئيسة، إذ تحيل هذه الأسماء ((إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءًا لاحقًا بجزء سابق، ومن ثمَّ تساهم في اتساق النص)) [15]، وهذه الإحالة على نوعين:

. إحالة قبلية داخلية، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [16]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** ﴾[17]، إذ أحال اسم الإشارة في الآيتين السابقتين إلى متقدم مذكور سابقًا.

. إحالة قبلية خارجية، نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** ﴾[18]، بالإشارة إلى الأصنام المشاهدة في أثناء هذه المحادثة.

وهي عند علماء اللغة الغربيين تصنف من حيث القرب والبعد إلى أسماء إشارة دالة على القـــــرب مثل (هذا، وهؤلاء)، و أسماء إشارة دالة على البعد مثل (تلك، وأولئك)، ومن حيث الإفراد والجمع إلى أسماء إشارة دالة على المفرد، مثل (هذا، وهذه)، و أسماء إشارة دالة على الجمع، مثل (هؤلاء، وأولئك)، ومن حيث الظرفية إلى

أسماء إشارة دالة على الزمان، مثل (الآن، وغدًا)، وأخرى دالة على المكان، مثل(هنا، وهناك) [19].

وتعمل أسماء الإشارة هذه على تماسك النص عن طريق الإحالة على سابق أو لاحق فيه، وينماز هذا النوع من التماسك بإمكانيةَّ الإحالة على جملة أو عدد من الجمل في موضع سابق له، ففي قوله تعالى: ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا، يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى** ﴾ [20].

يعوّض اسم الإشارة الدال على الزمان (يَوْمِئِذٍ) عن أوصاف يوم القيامة السابقة كلّها، وقد ربط الله سبحانه وتعالى أمنية هذا المجرم يوم القيامة بحرف العطف (ثُمَّ) للدلالة على أن هذه الأمنية صعبة الحصول، فهو على استعداد للتضحية بالنَّاس جميعًا قريبهم وبعيدهم، وأن يبقى في العذاب لمدة زمنية معينة في مقابل خلاصه من ذلك العذاب الدائم.

والإحالة –على هذا الفهم- تمتلك خاصيةَ ربط أجزاء النص بعضها ببعض، وتغني في الوقت نفسه عن تكرار بعض المفردات أو العبارات أو الجمل في النص فتؤدي إلى الإيجاز أو الاختصار في اللغة.

ج. أدوات المقارنة :

يفرق هاليدي وحسن بين نوعين من الإحالة المقارنة [21] :

- **المقارنة العامة (General Comparison) :** وتكـون إمَّا بالتطابق ويحـدث ذلك بأدوات مثل: (نفس، عين، مثل...)، أو التشابه ويحدث ذلك بأدوات مثل: (متشابه، يشبه إلى حدّ ما...)، أو الاختلاف ويحدث ذلك بأدوات مثل : (مختلف، غير متشابه...).

قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْء فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّا مُتَرَاكِبا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَان دَانِيَة وَجَنَّات مِنْ أَعْنَاب وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِها وَغَيْرَ مُتَشَابِه انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيات لِقَوْم يُؤْمِنُونَ**﴾[22]، فلفظة (مُشْتَبِه) الدالة على (التشابه)، ولفظة (غَيْرَ مُتَشَابِه) الدالة على (الاختلاف) قد أحالتا على متقدم على سبيل المقارنة بين أصناف النبات والثمرات التي تخرج بمشيئة الله وهي أصناف تتشابه في الشكل وتختلف في الطعم.

-**المقارنة الخاصة (Particular Comparison) :** وتعبر عن قابلية المقارنة بين شيئين في صفة معينة سواء من حيث الكم، مثل: أقل، أكثر، متساو...، أو الكيف، مثل: الأفضل، الأكثر، الأقل، على حدّ سواء...

ثانيًا: الجانب التّطبيقي :

1.نص سورة الحديد :

بِسْـــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَـــــــنِ الرَّحِيـــــــمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(1) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(4) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ(5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(6) آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ(7) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ

وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(8) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(9) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(10) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ(11) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ(13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(15) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(16) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(17) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ(18) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ(19) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(20) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(21) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(22) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(23) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ(24) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(25) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(27) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(28) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(29).

2. تحليل سورة الحديد :

تعمل مجموعة من الوسائل على تماسك أجزاء النص أو ترابطه، وهذه الوسائل هي:

أ. الضمائر:

الضمائر في سورة الحديد كثيرة وإحالاتها متعدّدة ، فقد تحيل على : (لفظ الجلالة الله، أو الرسول محمد (ص)، أو الأرض، أو السماء، أو المؤمنين والمؤمنات، أو المنافقين والمنافقات...وغيرها).

(1) لفظة الجلالة الله/ المتكلم :

لما كان الموضوع الرئيس الذي تؤكده هذه السورة هو التفرد، فالله سبحانه وتعالى متفرد بكل شيء، فهو القادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، يسبح له كلُّ ما في السموات والأرض وإليه ملكها، كما تفرد سبحانه وتعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وهــو الغرض الأول الذي ذكره الطاهر عاشور من ((الأغراض التي اشتملت عليها

هذه السورة: التذكير بجلال الله تعالى، وصفاته العظيمة، وسعة قدرته وملكوته، وعموم تصرفه، ووجوب وجوده، وسعة علمه ، والأمر بالإيمان بوجوده ، وبما جـــاء به رسوله (صلى الله عليه وسلم) وما أنزل عليه من الآيات البينات))[23]، وقد افتتحت السورة بذكر تسبيح الله سبحانه وتعالى وهو أمر ((مؤذن بأن أهم ما اشتملت عليه إثبات وصف الله بالصفات الجليلة المقتضية أنه منزّه عما ضل في شأنه أهل الضلال من وصفه بما لا يليق بجلاله، وأول التنزيه هو نفي الشريك له في الإلهية فإن الوحدانية هي أكبر صفة ضل في كنهها المشركون والمانوية ونحْوهم من أهل التثنية وأصحاب التثليث والبراهمة، وهي الصفة التي ينبىء عنها اسمه العَلَم أعني (الله) لما علمت في تفسير الفاتحة من أن أصله الإله، أي المنفرد بالإلهية، وأتبع هذا الاسم بصفات ربانية تدل على كمال الله تعالى وتنزّهُهُ عن النقص)) [24].

لذا فقد عملت الإحالة بنوعيها: الداخلية (النصية)، والخارجية (المقامية) على تماسك أجزاء السورة من بدايتها إلى نهايتها.

بدأت السورة بذكر لفظ الجلالة (الله) صراحة، قال تعالى: ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾، ثم أعقبت ذلك بذكر عدد من الضمائر التي أدت إلى تماسك أجزاء السورة، وهذه الضمائر التي تحيل على لفظ الجلالة الله قد توزعت على أجزاء السورة كلها، فبدأت بالضمير المنفصل (هو) في الآية الأولى كما لاحظنا، وانتهت بالضمير المستتر (هو) في الفعل (يَشَاءُ) في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ في الآية الأخيرة، وبين الآية الأولى والآية الأخيرة ثمة (39) ضميرًا يؤدي الوظيفة الشكلية والدلالية على مستوى النص كلِّه، إذ أحالت هذه الضمائر على متقدم وهو لفظ الجلالة (الله)، فأدت إلى تماسك النص أو اتحاده دلاليًا، وللضمير المنفصل (هو) في السورة ((ميزتان رئيستان هما :

الأولى: الغياب عن الدائرة الخطابية.

الثانية: القدرة على إسناد أشياء معينة, وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير على قدر كبير من الأهمية)) [25].

إذ يحيل الضمير (هو) إلى ما هو خارج دائرة الخطاب المتمثلة بالمرسِل والمرسَل إلية والرسالة، ويؤدي دور التماسك في النص.

وكل هذه الإحالات قد توافر فيها شرط أن تكون مسبوقة ((باسم ظاهر ومعروف لدى كل من المتكلم والسامع))[26], وهو لفظ الجلالة الله في الآية الأولى كما قلنا فهذا الشرط يجب أن يتوافر في الضمير، فإذا لم يكن كذلك أُبهم على المتلقي الغرض والتبس الأمر عليه, فالضمير بحاجة إلى شيء يرجع إليه المعنى السابق ليكون مفهومًا وتكتمل صورته الدلالية [27], ومما يجدر الإشارة إليه أنه يجب أن يكون الضمير قريبًا مما يحيل إليه لئلا يلتبس على السامع أو القارئ [28]، وقد تحقق هذا الشرط أيضًا، إذ نجد في النص المدروس تكرارًا للمحال إليه (الله) في أكثر من آية الأمر الذي أدى إلى اقتراب المسافة بين المحيل (الضمير) والمحال إليه في السورة فكانت أكثر تماسكًا أو اتحادًا، فقد تكرر لفظ الجلالة الله صراحةً (22) مرة في الآيات: (1، 4، 5، 7، 8، 9، 10، 11، 14، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 27، 28، 29) مما يدلل على تماسك السورة مبنى ومعنى.

وثمة نوع آخر من الإحالة بالضمير في هذه السورة تمثل في وجود عدد من الضمائر المختلفة التي أحالت على المتكلم (الله) سبحانه وتعالى، فأدت إلى زيادة ترابطه أو تماسكه تمثلت بالإحالة الخارجية (المقامية)، كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾[29]، إذ يحيل ضمير الجر (نا) في (آَيَاتِنَا) إلى المتكلم الله سبحانه وتعالى، وهي إحالة إلى ما هو خارج النص (المتكلم)، في حين يطالعنا الضمير المستتر (نحـــن) في الفعل (نَبْرَأَهَا) في قولـــه تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾[30] الذي يحيل إلى المتكلم الله سبحانه وتعالى، وغيرها [31].

وقد تنوعت الضمائر في السورة بين ضمائر بارزة وأخرى مستترة، والجدول الآتي يوضح أنواع الضمائر المحيلة إلى لفظ الجلالة الله/ المتكلم :

رقم الآية	المحيل (الضّمير)	المحال إليه
1	الضمير المنفصل (هُوَ)	لفظ الجلالة (الله)
2	ضمير الهاء في (لَهُ)، الضمير المستتر (هو) في (يُحْيِي)، الضمير المستتر (هو) في (يُمِيتُ)، الضمير المنفصل (هُوَ)	
3	الضمير المنفصل (هُوَ)، الضمير المنفصل (هُوَ)	
4	الضمير المنفصل (هُوَ)، الضمير المستتر (هو) في (خَلَقَ)، الضمير المستتر (هو) في (اسْتَوَى) ...	
5	ضمير الهاء في (لَهُ)	
6	الضمير المستتر (هو) في (يُولِجُ)، الضمير المنفصل (هُوَ)	
7	ضمير الهاء في (رَسُولِهِ)، الضمير المستتر (هو) في (جَعَلَكُمْ)	
8	الضمير المستتر (هو) في (أَخَذَ)	
9	الضمير المنفصل (هُوَ)، الضمير المستتر (هو) في (يُنَزِّلُ)، ضمير الهاء في (عَبْدِهِ)، الضمير المستتر (هو) في (لِيُخْرِجَكُمْ)	
11	الضمير المستتر (هو) في (يُضَاعِفَهُ)	
16	الضمير المستتر (هو) في (نَزَلَ)	
17	الضمير المستتر (هو) في (يُحْيِي)	
17	ضمير (نا) في (بَيَّنَّا)	المتكلم
19	ضمير الهاء في (رُسُلِهِ)	لفظ الجلالة (الله)
19	ضمير (نا) في (آيَاتِنَا)	المتكلم
21	ضمير الهاء في (رُسُلِهِ)، الضمير المستتر (هو) في (يَشَاءُ)	لفظ الجلالة (الله)
22	الضمير المستتر (هو) في (أَصَابَ)	
22	الضمير المستتر (نحن) في (نَبْرَأَهَا)	لفظ الجلالة (الله)
23	الضمير المستتر (هو) في (يُحِبُّ)	المتكلم
24	الضمير المنفصل (هُوَ)	
25	ضمير (نا) في (أَرْسَلْنَا)، ضمير (نا) في (رُسُلَنَا) ...	المتكلم
25	ضمير الهاء في (يَنْصُرُهُ)، ضمير الهاء في (رُسُلَهُ)	لفظ الجلالة (الله)
26	ضمير (نا) في (أَرْسَلْنَا)، ضمير (نا) في (جَعَلْنَا)	المتكلم
27	ضمير (نا) في (قَفَّيْنَا)، ضمير (نا) في (قَفَّيْنَا)، ضمير (نا) في (آتَيْنَاهُ)، ضمير (نا) في (جَعَلْنَا)، ضمير (نا) في (كَتَبْنَاهَا)..	
28	ضمير الهاء في (رَسُولِهِ)، ضمير الهاء في (رَحْمَتِهِ)	لفظ الجلالة (الله)
29	الضمير المستتر (هو) في (يُؤْتِيهِ) ...	

إذ يلاحظ من الجدول السابق تنوع الضمائـــر المحيلة إلى لفظ الجلالة الله/ المتكلم بين الضمير المنفصل (هو) الذي بدأت به السورة الكريمة وتكرر (8) مرات أخرى في الآيات: (2، 3، 4، 6، 9، 24)، والضمير المتصل الذي تنوع اتصاله بين حرف الجر (اللام) في الآيات: (2، 5)، والاسم في الآيات: (7، 9، 19، 21، 25، 28)، والفعل في الآية: (25)، والضمير المستتر (هو) الذي استحوذ على معظم الإحالات النصية في السورة، إذ تكرر (19) مرة في الأفعال: (يُحْيِي، يُمِيتُ، خَلَقَ، اسْتَوَى، يَعْلَمُ، بَصِيرٌ، يُولِجُ، جَعَلَكُمْ، أَخَذَ، يُنَزِّلُ، لِيُخْرِجَكُمْ، يُضَاعِفَهُ، نَزَلَ، يُحْيِي، يَشَاءُ، أَصَابَ، يُحِبُّ، يُؤْتِيهِ، يَشَاءُ).

ولنوعي الإحالة الداخلية والخارجية أثرٌ بارزٌ في ظهور أجزاء النص متراصة من حيث دلالة التركيب الكلامي، فالإحالة على عنصر سابق لها أثرها الوظيفي الواضح في تلاحم النص عبر الإشارة لما سبق من كلام في بداية الحديث أو وسطه والتعويض عنه بالضمير, إذ تعود عملية الإحالة هذه ((على (مفسِّر) سبق التلفظ به... وفيها يجري تعويض لفظ (المفسِّر) الذي كان من المفروض ان يظهر حيث يظهر المضمر)) [32]، والإحالة الخارجية هي الأخرى لها أثرها البين في تماسك النص أو اتحاده.

(2) المخاطب :

المخاطب هو الركن الرئيس الثاني في العملية التواصلية بعد المتلكم، إذ إن الرسالة تنتقل من متكلم إلى مخاطب، وتدور حول موضوع ما أو شخص ما يكون الحلقة الثالثة في هذه السلسلة ويسمى الغائب.

وقد تنوعت الضمائر المحيلة إلى المخاطب في سورة الحديد بين ضمائر رفع متصلة في الآيات (4، ، 7، 8، 10، 20، 21، 23، 28) تمثلت بضمير (التاء) في الفعل: (كُنْتُمْ)، و(واو الجماعة) في الأفعال: (تَعْمَلُونَ، وأَمِنُوا، وأَنْفِقُوا، وتُؤْمِنُونَ، وتُؤْمِنُوا، وتُنْفِقُوا، وتَعْمَلُونَ، واعْلَمُوا، وسَابِقُوا، وتَأْسَوْا، وتَفْرَحُوا، واتَّقُوا، أَمِنُوا)، وضمائر نصب متصلة في الآيات: (7، 8، 9، 23، 28) تمثلت بضمير (الكاف) في الأفعال: (جَعَلَكُمْ، ويَدْعُوكُمْ، وِيُخْرِجَكُمْ، وفَاتَكُمْ، وأَتَاكُمْ، ويُؤْتِكُمْ)، وضمائر جر متصلة في الآيات: (4، 7، 8، 9، 10، 12، 20، 21، 22، 28) تمثلت بضمير الكاف في: (مَعَكُمْ، ومِنْكُمْ، ولَكُمْ، ورَبِّكُمْ، ومِيثَاقَكُمْ، وبِكُمْ، ولَكُمْ، ومِنْكُمْ، وبُشْرَاكُمُ، وبَيْنَكُمْ، ورَبِّكُمْ، وأَنْفُسِكُمْ، ولَكُمْ)، وضمائر مستترة في الآيات: (12، 20، 28) تمثلت بالضمير (أنت) في الفعلين: (تَرَى، وتَرَاهُ)، والضمير (أنتم) في الفعل: (تَمْشُونَ)، فزادت من تماسك النص مبنًى ومعنًى، إذ نلاحظ في هذه الضمائر كثرة دورانها في الخطاب القرآني مما أحدثت نوعًا من التماسك الشديد بين أجزاء القصة هذه أو تلك وزاد من الديمومة النصية بين المتلقي والباث.

وممَّا يلاحظ هنا أيضًا أنَّ ضمائر المتكلم والمخاطب غالبًا ما تشير إلى شخص خارج النص اللغوي[33]، وقد وجدنا مصداق هذا القول في سورة الحديد، إذ أحالت الضمائر الكثيرة هذه على ما هو خارج النص، فكانت الإحالة بهذين النوعين من الضمائر إحالة خارجية (مقامية)، إذ إننا لا نستطيع أن نفهم كثيرًا من النصوص بمجرد النظر إلى بنيتها اللغوية من دون ربط ذلك كلّه بما تحيل إليه خارج النص، فالقارئ أو السامع من أجل أن يفهم نص ما يحتاج إلى قرائن مقالية وأخرى مقامية.

(3) الغائب/ المتحدث عنه :

يختلف ضمير الغائب عن ضمير المتكلم أو المخاطب من حيث إنه قد يحيل إلى داخل النص أو خارجه، وهذا النوع من الضمائر –بحسب هاليدي ورقية حسن- هو النوع الأهم الذي يمتلك خاصية تماسك النصوص[34].

وسورة الحديد شهدت عددًا من الإحالات الداخلية والخارجية، ففي قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَـا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ**

فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[35]، يطالعنا الضمير المستتر (هو) في الأفعال:(يَلِجُ، ويَخْرُجُ، ويَنْزِلُ، ويَعْرُجُ) الذي يحيل إلى: (المطر، والنبات، والرزق، والملائكة) على التوالي، وهي إحالة خارجية (مقامية)، إذ لم يسبق ذكرهم في النص، كما يطالعنا نوع آخر من الإحالة بالضمير وهي الإحالة الداخلية (النصية) تتمثل بضمير الهاء في (مِنْهَا) التي تحيل إلى متقدم مذكور سابقًا وهو (الأرض)، وفي (فِيهِ) التي تحيل إلى متقدم مذكور سابقًا أيضًا وهو (السماء).

والجدول الآتي يوضح لنا المحيل والمحال إليه وأنواع الإحالة :

رقم الآية	المحيل (الضمير)	المحال إليه	نوع الإحالة
4	الضمير المستتر (هو) في (يَلِجُ)	المطر	إحالة خارجية (مقامية)
4	الضمير المستتر (هو) في (يَخْرُجُ)	النبات	إحالة خارجية (مقامية)
4	ضمير الهاء في (مِنْهَا)	الأرض	إحالة داخلية (نصية) على سابق
4	الضمير المستتر (هو) في (يَنْزِلُ)	الرزق	إحالة خارجية (مقامية)
4	الضمير المستتر (هو) في (يَعْرُجُ)	الملائكة	إحالة خارجية (مقامية)
4	ضمير الهاء في (فِيهَا)	السماء	إحالة داخلية (نصية) على سابق
7	ضمير الهاء في (فيه)	المال	إحالة داخلية (نصية) على سابق
7	واو الجماعة في (آمَنُوا)	الغائبون	إحالة خارجية (مقامية)
7	واو الجماعة في (أَنْفَقُوا)	الغائبون	إحالة خارجية (مقامية)
7	ضمير الهاء في (لَهُمْ)	الغائبون	إحالة خارجية (مقامية)
8	الضمير المستتر (هو) في (يَدْعُوكُمْ)	الرسول	إحالة داخلية (نصية) على سابق
10	الضمير المستتر (هو) في (أَنْفَقَ)	الغائب	إحالة خارجية (مقامية)
10	الضمير المستتر (هو) في (قَاتَلَ)	الغائب	إحالة خارجية (مقامية)
10	واو الجماعة في (أَنْفَقُوا)	الغائبون	إحالة خارجية (مقامية)
10	واو الجماعة في (قَاتَلُوا)	الغائبون	إحالة خارجية (مقامية)
11	ضمير الهاء في (يُضَاعِفَهُ)	القرض	إحالة داخلية (نصية) على سابق
11	ضمير الهاء في (لَهُ)	الغائب	إحالة خارجية (مقامية)
11	ضمير الهاء في (لَهُ)	الغائب	إحالة خارجية (مقامية)
12	ضمير الهاء في (نُورُهُمْ)	المؤمنون والمؤمنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
12	ضمير الهاء في (أَيْدِيهِمْ)	المؤمنون والمؤمنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
12	ضمير الهاء في (بِأَيْمَانِهِمْ)	المؤمنون والمؤمنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
12	ضمير الهاء في (تَحْتِهَا)	جنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
12	ضمير الهاء في (فِيهَا)	جنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	واو الجماعة في (آمَنُوا)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	واو الجماعة في (انْظُرُونَا)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق

13	ضمير (نا) في (انْظُرُونَا)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	الضمير المستتر (نحن) في (نَقْتَبِسْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الكاف في (نُورِكُمْ)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	واو الجماعة في (ارْجِعُوا)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الكاف في (وَرَاءَكُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	واو الجماعة في (فَالْتَمِسُوا)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الهاء في (بَيْنَهُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الهاء في (لَهُ)	السور	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الهاء في (بَاطِنُهُ)	السور أو الباب	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الهاء في (فِيهِ)	باطن السور أو باطن الباب	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الهاء في (ظَاهِرُهُ)	السور أو الباب	إحالة داخلية (نصية) على سابق
13	ضمير الهاء في (قِبَلِهِ)	ظاهر السور أو ظاهر الباب	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	واو الجماعة في (يُنَادُونَهُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير الهاء في (يُنَادُونَهُمْ)	المؤمنون والمؤمنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	الضمير المستتر (نحن) في (نَكُنْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير الكاف في (مَعَكُمْ)	المؤمنون والمؤمنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	واو الجماعة في (قَالُوا)	المؤمنون والمؤمنات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير الكاف في (لَكِنَّكُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير التاء في (فَتَنْتُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير الكاف في (أَنْفُسَكُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير التاء في (تَرَبَّصْتُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير التاء في (ارْتَبْتُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير الكاف في (غَرَّتْكُمُ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
14	ضمير الكاف في (غَرَّكُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
15	ضمير الكاف في (مِنْكُمْ)	المنافقون والمنافقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
15	واو الجماعة في (كَفَرُوا)	الكافرون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
15	ضمير الكاف في (مَأْوَاكُمُ)	المنافقون والكافرون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
15	الضمير المنفصل (هِيَ)	النار	إحالة داخلية (نصية) على سابق
15	ضمير الكاف في (مَوْلَاكُمْ)	المنافقون والكافرون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
16	واو الجماعة في (أَمَنُوا)	المنافقون والكافرون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
16	واو الجماعة في (يَكُونُوا)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
16	واو الجماعة في (يَكُونُوا)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق

16	واو الجماعة في (أُوتُوا)	أهل الكتاب	إحالة خارجية (مقامية)
16	ضمير الهاء في (عَلَيْهِمُ)	أهل الكتاب	إحالة داخلية (نصية) على سابق
16	ضمير الهاء في (مِنْهُمْ)	أهل الكتاب	إحالة داخلية (نصية) على سابق
17	واو الجماعة في (اعْلَمُوا)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
17	ضمير الهاء في (مَوْتِهَا)	الأرض	إحالة داخلية (نصية) على سابق
17	ضمير الكاف في (لَكُمُ)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
17	ضمير الكاف في (لَعَلَّكُمْ)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
17	واو الجماعة في (تَعْقِلُونَ)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
18	واو الجماعة في (أَقْرَضُوا)	المصدقين والمصدقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
18	ضمير الهاء في (لَهُمْ)	المصدقين والمصدقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
18	ضمير الهاء في (لَهُمْ)	المصدقين والمصدقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
18	ضمير الهاء في (لَهُمْ)	المصدقين والمصدقات	إحالة داخلية (نصية) على سابق
19	واو الجماعة في (آمَنُوا)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
19	الضمير المنفصل (هُمُ)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق
19	ضمير الهاء في (رَبِّهِمْ)	المؤمنون	إحالة داخلية (نصية) على سابق

من الجدول السابق يمكن ملاحظة ما يأتي :

1. تنوع المحال إليه/ المتحدث عنه في سورة الحديد بين (المطر، النبات، الأرض، الرزق، الملائكة، السماء، المال، الرسول، القرض، المؤمنون والمؤمنات، الجنات، المنافقون والمنافقات، السور، الباب، الكافرون، أهل الكتاب، المصدقين والمصدقات، الصديقيون والشهداء، الأنفس أو المصائب، الرسل، نوح وإبراهيم عليهما السلام، عيسى عليه السلام، الحواريون، الرهبانية، النور، فضل الله).

2. توزعت الضمائر المحيلة على ضمائر رفع تمثلت بـ(54) ضميرًا بين ضمائر بارزة سواء أكانت متصلة، مثل: ضمير (التاء) في (فَتَنْتُمْ، وتَرَبَّصْتُمْ، وارْتَبْتُمْ)، وضمير (واو الجماعة) في (آمَنُوا، وأَنْفَقُوا، وانْظُرُونَا، وارْجِعُوا، والْتَمِسُوا، ويُنَادُونَهُمْ، وقَالُوا، وكَفَرُوا، وآمَنُوا، ويَكُونُوا، وأُوتُوا، واعْلَمُوا، وتَعْقِلُونَ، وأَقْرَضُوا، وآمَنُوا، وكَفَرُوا، وكَذَّبُوا، وآمَنُوا، ويَبْخَلُونَ، ويَأْمُرُونَ، واتَّبَعُوهُ، وابْتَدَعُوهَا، ورَعَوْهَا، وآمَنُوا، ويَقْدِرُونَ)، أم منفصلة، مثل: الضمير المنفصل (هِيَ)، والضمير المنفصل (هُمُ)، وضمائر أخرى مستترة، مثل: الضمير المستتر (هو) في الأفعال: (يَلِجُ، ويَخْرُجُ، ويَنْزِلُ، ويَعْرُجُ، ويَدْعُوكُمْ، وأَنْفَقَ، وقَاتَلَ، ويَهِيجُ، ويَكُونُ، ويَسِيرٌ، وفَاتَكُمْ، وآتَاكُمْ، ويَتَوَلَّ، ويَنْصُرُهُ، ويُؤْتِكُمْ، ويَجْعَلْ، ويَغْفِرْ)، والضمير المستتر (نحن) في الأفعال: (نَقْتَبِسْ، ونَكُنْ)، والضمير المستتر (هي) في (أُعِدَّتْ).

والنوع الآخر من الضمائر في السورة هي ضمائر النصب، إذ ارتبطت الضمائر بالأفعال: (يُضَاعِفَهُ، وانْظُرُونَا، ويُنَادُونَهُمْ، ولَكِنَّكُمْ، وغَرَّتْكُمُ، وغَرَّكُمْ، ولَعَلَّكُمْ، وتَرَاهُ، ويُؤْتِيهِ، ونَبْرَأَهَا، وآتَيْنَاهُ، واتَّبَعُوهُ، وابْتَدَعُوهَا، وكَتَبْنَاهَا، ويُؤْتِيهِ).

أمَّا ضمائر الجر فمنها ما اقترن بحرف الجر، نحو ضمير الهاء في: (مِنْهَا، وفِيهَا، وفِيهِ، ولَهُمْ، ولَهُ، ولَهُمْ، وفِيهَا، ولَهُ، وفِيهِ، وعَلَيْهِمُ، ومِنْهُمْ، ولَهُمْ، ومَعَهُمُ، وفيه، ومِنْهُمْ، وعَلَيْهِمْ، ومِنْهُمْ، وبِهِ)، وضمير الكاف في (مَعَكُمْ، ومِنْكُمْ، ولَكُمُ)، ومن ضمائر الجر ما اقترن بالأسماء فيجر بالإضافة، نحو ضمير الهاء في: (نُورُهُمْ، وأَيْدِيهِمْ، وبِأَيْمَانِهِمْ، وتَحْتِهَا، وبَيْنَهُمْ، وبَاطِنُهُ، وظَاهِرُهُ، وقِبَلِهِ، ومَوْتِهَا، ورَبِّهِمْ، وأَجْرُهُمْ، ونُورُهُمْ، ونَبَاتُهُ، وعَرْضُهَا، وذُرِّيَّتِهِمَا، وأَثَارِهِمْ، ورِعَايَتِهَا، وأَجْرَهُمْ) وضمير الكاف في: (نُورِكُمْ، ووَرَاءَكُمْ، وأَنْفُسَكُمْ، ومَأْوَاكُمُ، ومَوْلَاكُمْ).

وقد أسهمت هذه الضمائر في ربط الجمل دلاليًا، إذ إنَّها لا تقتصر على التماسك الشكليّ بين الجمل فحسب، بل تتعدى ذلك إلى إبراز القيم الدلالية بين أجزاء النص المتباعدة [36]، فالخطاب القرآني يتميز بترابطه الوثيق والتحامه الأخاذ ونسيجه المتراص ((فليست وظيفة الضمير هي الإحلال فقط أو التعويض عن الاسم الظاهر لكن تتعداها إلى كونه رابطًا يحقق التماسك النصي)) [37] للخطاب ويخلق نوعًا من الانسجام بين ألفاظه أو جمله أو فقراته, فـ((إذا قوي الانسجام في النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه)) [38].

فضلًا عن هذا فقد وظِّف الضمير في هذه الآيات المباركة لأغراض أخرى يعمل على تأكيدها؛ ومن هذه الأغراض: الاقتصاد اللغوي، إذ يؤدي هذا الغرض إلى الابتعاد عن الإطالة التي تؤدي إلى السأم لدى القارئ أو السامع نتيجة لتكرار الكلمات نفسها [39], ثم إن ذكر الضمير من دون ذكر الاسم الصريح يؤدي وظيفة رئيسة بالنسبة لمتلقي النص وهي السماح ((بتعدد الفهم على ضوء الاستعدادات والثقافات)) [40] المختلفة له, وهذا ما يفسر لنا اختلاف المفسرين -بوصفهم متلقين للخطاب القرآني- في مرجع ضمير الهاء في (بَاطِنُهُ)، و(ظَاهِرُهُ) في قوله تعالى : ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [41] على السور أو على الباب [42]. فالمتكلم يستطيع عبر توظيف الضمير أن يشكِّل الدلالة المبتغاة ويبرزها داخل الخطاب؛ لأنَّ ((تشكيل المعنى وإبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص، إذ إن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي)) [43].

3.اختلفت الإحالة بالضمائر في هذه السورة المباركة بين نوعي الإحالة: الداخلية والخارجية، إذ جاءت الإحالة داخلية في (95) مرة، وهو النصيب الأكبر من نوعي الإحالة، وقد جاءت الإحالات كلُّها على سابق، فلم ترد في السورة إحالة على لاحق في حين جاءت الإحالة خارجية في (23) مرة ممَّا أحدثت نوعًا من التماسك على مستوى السورة كلِّها.

ب. أسماء الإشارة :

يعمل اسم الإشارة عمل الضمير، فيؤدي دور الرابط بين أجزاء النَّصّ، فيربط جزءًا لاحقًا بجزء سابقٍ، وقد احتوت سورة الحديد على (6) إحالات بأسماء الإشارة جاء ثلاث منها باسم الإشارة (أُولَئِكَ) في قولـــــه تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[44]، إذ يدل اسم الإشارة (أُولَئِكَ)على البعيد [45]، والإحالة به إحالة على متقدم الذين ((أنفقوا قبل الفتح وقبل انتشار الإسلام وفشوّه واستيلاء السلمين على أم القرى، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار)) ، وفي قــوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾[46]، قد أغنى اسم الإشارة (أُولَئِكَ) الأول عن جملة كاملة وهي قوله: (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ)، في حين أغنى الثاني عن إعادة قوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)، إذ عوض اسم الإشارة المذكور لاحقًا (أُولَئِكَ) عن مجموعة من الكلمات مما جعلنا نؤمن بأن الإحالة ولاسيما الإحالة بأسماء الإشارة تؤدي وظيفة الاختصار أو الإيجاز في الكلام؛ لأننا نعوض عنصرًا بعنصر أقل منه وهذا نوع من أنواع الاقتصاد في الكلام الذي تنماز به لغتنا العربية.

أمَّا الإحالات الأخرى في هذه السورة فقد جاءت باسم الإشارة (ذَلِكَ) في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [47]، إذ أحال اسم الإشارة (ذَلِكَ) على كلام سابق وهو ما بشر به المؤمنون والمؤمنات من جنات تجري من تحتها الأنهار، وفي قوله تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [48]، وقوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [49]، أحال اسم الإشارة (ذَلِكَ) في الأولى على ((الموعود من المغفرة والجنة)) [50]، وفي الثانية على قدرة الله سبحانه وتعالى على خلق النفوس، وإحصاء ما تلاقيه من المصائب [51].

ومما يلاحظ هنا أن الإحالات بأسماء الإشارة السابقة كلّها قد ربطت الجزء اللاحق بالسابق مما أدى إلى تماسك أجزاء السورة واتحادها.

ج. أدوات المقارنة :

تقوم أدوات المقارنة في سورة الحديد بوظيفة التماسك الشكلي والدلالي بين أجزاء السورة، ومثال هذا النوع من الإحالات ما يطالعنا من تفضيل من أنفق قبل فتح مكة على من أنفق بعد الفتح في قوله تعالى:﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [52]، ففضَّل الله سبحانه وتعالى الذين أنفقوا قبل الفتح وجاهدوا على سواهم؛ ((لأن حاجة النَّاس كانت أكثر لضعف الإسلام، وفِعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشقُّ والأجر على قدر النَّصَب)) [53]، وهذا النوع من الإحالة يسمى عند علماء اللغة المحدثين المقارنة الخاصة؛ لأنه مفاضلة بين شيئين في صفة معينة من حيث الكيف بواسطة الأداة (أَعْظَمُ).

مما تقدَّم تبين لنا أنَّ الإحالة تعمل على تماسك النَّصِّ شكلًا ودلالةً، فالإحالة الداخلية (النصية) تؤدي دورًا رئيسًا في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، وذلك عن طريق الأدوات الظاهرة في النص وإحالة بعضها على بعض، والإحالة الخارجيّة (المقامية) تعمل هي الأخرى على إيجاد ذلك التماسك على مستوى الشكل والدلالة.

وتبين لنا أيضًا أنَّ الإحالة بالضمير أكثر أنواع الإحالة في سورة الحديد، إذ لم تستعمل أسماء الإشارة إلا (6) مرات في حين لم تستعمل أدوات المقارنة إلا مرة واحدة، كما تبين لنا أيضًا أنَّ الضمائر وأسماء الإشارة وحدهما يمتلكان –فضلًا عن خاصية تماسك النصوص الشكلي والدلالي- خاصية الاقتصاد أو الإيجاز في النصوص في حين لم تثبت الدراسة ثبات هذه الخاصية في أدوات المقارنة.

الهوامـــــش :

1) النَّصُّ والخطـــاب والإجراء: 320.
2) M. Halliday and R. Hasan, Cohesion in English , p. Xv .
3) صلـــــــــــوات لعينيها : 54.
4) ســــــــورة الأنعام، الآية: 71.
5) ســــــــورة الإخلاص، الآية: 1.
6) ينظر: علم اللغة النصي: 40-39.
7) شرح المفصـــــــل: 65-2/64.
8) النَّصّ والخطاب والإجراء: 332.
9) M. Halliday and R. Hasan, Cohesion in English , p. 33 .
10) ينظر: لسانيات النَّصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب): 18.
11) M. Halliday and R. Hasan, Cohesion in English, p. 37 .
12) ينظر: نسيج النص:118، وقواعد الربط وأنظمته في العربية: 23.
13) لسانيـــــات النص: 17.
14) لسانيـــــات النَّصِّ: 19.
15) ســـورة الروم، الآية:21.
16) سورة الأعراف، الآية: 26.
17) ســورة الأنبياء، الآية: 63.
18) M.Halliday & R.Hasan "Cohesion in English" p. 57 .
19) سورة المعـــــــــــــارج، الآيات: 15-1.
20) ينظر: علم لغة النَّصّ النَّظَرِيَّة والتطبيق: 124.
21) سورة الأنعـــــــــــــام، الآية:99.
22) التحرير والتنويـــــــــــــر: 27/ 355.
23) التحريـــــــــر والتنوير: 27/ 357-356.
24) علم اللغة النـــــــــــــصي: 1/161.
25) من أســـــــــــــرار العربية: 290.
26) الضمائـــــــــــــر في اللغة: 98.
27) المرجع نفســـــــــــــه:103.
28) الآية: 19.
29) الآية: 22.
30) ينظر ضمير الرفع (نا) في قوله (أَرْسَلْنَا ، و رُسُلَنَا ، وأَنْزَلْنَا) في الآية (25)، وقوله (أَرْسَلْنَا، وجَعَلْنَا) في الآية (26)، وقوله (قَفَّيْنَا ، وأَتَيْنَاهُ، وجَعَلْنَا، و كَتَبْنَاهَا) في الآية (27).
31) نسيج النـــــــــــــــــص: 118.
32) يرى مايكل هاليدي ورقية حسن أن ضمائر المتكلم والمخاطب غالبًا ما تشير إلى ما هو خـــارج النص إلا في النصوص المكتوبة فانها قد تحيل على متقدم مذكـــور في نص سابق ويحدث هذا في أنواع معينـــة من الكتابة مثل: كتابة الرسائل، وقصص السيرة الذاتيةً، والإعلانات، والوثائق الرسميَّة ... وغيرها، ينظر:
M. Halliday and R. Hasan, Cohesion in English , p. 50 .
33) Ibid, p. 51 .
34) الآية: 4.
35) ينظر: علم اللغة النصي: 1/ 164.

36) المرجع نفســـــــــــــه: 1/148.
37) معترك الأقران, السيوطي: 1/248.
38) Fraida Dubin & Elite Olshtain: The interface of writing and reading, p. 361 .
39) أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن: 192.
40) الآيـــــــــــــة : 13.
41) ينظر: الكشـــاف : 4/357.
42) علم اللغة النصي: 1/161.
43) الآيـــــــــــــة : 10.
44) M.Halliday & R.Hasan "Cohesion in English" p. 57 .
45) البحر المحيط: 8/ 218.
46) الآية: 19.
47) الآية: 12.
48) الآية: 21.
49) الآية: 22.
50) الكشـــــــــــــــــــــــاف: 4/ 359.
51) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: 23/ 197.
52) الآية: 10.
53) الجامع لأحكام القرآن: 17/ 205، وينظر: التحرير والتنوير: 27/ 374.

المصادر والمراجع :

• القرآن الكريم .
• أسرار التشابه الأسلوبي في القـــرآن الكريم د. شلتاغ عبود، دار المحجة البيضاء – دار الرسول الأكرم، بيروت، 1424هـ 2003-م.
• البحر المحيط (تفسير)، أبو حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، ط2، 1398هـ- 1978م.
• التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهـــــــــر بن عاشور، دار سحنون، تونس، 1997م.
• جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفـــــــــر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1420هـ2000-م.
• الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م.
• شرح المفصل، للشيخ العلامة ابن يعيش، تحقيق : أحمد السيد سيـــــــد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
• صلوات لعينيها، مزهر حسن الكعبي، دار السيـــاب، ط1، لندن، 2010م.
• الضمائر في اللغة العربية، د. محمد عبد الله جبر، ط1 دار المعارف 1983م.
• علم لغة النص: النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، 1430هـ- 2009م.
• علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكيـة، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1421هـ- 2000م.
• قواعد الربط وأنظمته في العربية ونظريات الربط اللغوية الحديثـة، د. حسام البهنساوي، دار زهراء الشرق ط1، القاهرة 2008م.
• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجـــــوه التأويل، الإمام محمود بن عمر الزمخشري، ضبطه ووثقه: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتـــــــــــــــــــاب العربي، بيروت، 2012م.
• لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990م.
• معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي.

• نسيج النص، الأزهر زناد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت،1993م.
• النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1418هـ- 1998م.

المراجع الأجنبية :

• Cohesion in English, Halliday & Hassan, London, Longman, 1976.
• Fraida Dubin & Elite Olshtain: The interface of writing and reading. Tesol quarterly, vol. xlv, no3, September, 1980.